

التبيان في تفسير القرآن

(199) أليس في التوراة أن إِبْرَاهِيمَ يبغض الحبر السمين؟ فغضب، وقال: ما أنزل إِبْرَاهِيمَ على بشر من شيء، فلعننه اليهود وتبرأت منه، فنزلت هذه الآية، ذكر ذلك عكرمة وقتادة، وقال محمد بن كعب القرطبي: نزلت في جماعة من اليهود. وروي مثل ذلك عن ابن عباس. وقال مجاهد نزلت في مشركي قريش، وروي ذلك عن ابن عباس أيضا، وهو أشبه بسياق الآية، لانهم الذين أنكروا أن يكون إِبْرَاهِيمَ أنزل كتابا على بشر، دون اليهود والنصارى. ومعنى قوله " وما قدروا إِبْرَاهِيمَ حق قدره " أي ما عرفوه حق معرفته وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به " إذ قالوا ما أنزل إِبْرَاهِيمَ على بشر من شيء " أي ما أرسل إِبْرَاهِيمَ رسولا، ولم ينزل على بشر من شيء، مع أن المصلحة والحكمة يقتضيان ذلك، ودلت المعجزات الباهرة على بعثة كثير منهم. ثم أمر إِبْرَاهِيمَ نبيه أن يقول لهم " من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس " فانهم يقرون بذلك، وإن إِبْرَاهِيمَ أنزله وبعث موسى (ع) نبيا وإن لم يقرؤا بذلك فقد خرجوا من اليهودية إلى قول من ينكر النبوات. والكلام على من أنكر ذلك أصلا مذكور في النبوات مستوفى لانطول بذكره هاهنا. وعلى ما قلناه: من أن الآية متوجهة إلى مشركي قريش من حيث أن إِبْرَاهِيمَ تعالى من أول السورة إلى هاهنا في الاخبار عن أوصاف المشركين وعن أحوالهم وكذلك أول الآية في قوله " وما قدروا إِبْرَاهِيمَ حق قدره " لانهم كانوا لا يعتقدون التوحيد ويعبدون مع إِبْرَاهِيمَ الاصنام، وأهل الكتاب كانوا بخلاف ذلك، لانهم كانوا يعتقدون التوحيد فلا يليق بهم ذلك، وإن كان اليهود عندنا أيضا غير عارفين بإِبْرَاهِيمَ على وجه يستحقون به الثواب. والقول الآخر أيضا محتمل. فعلى ما اخترنا يكون قوله " قل من أنزل الكتاب " متوجها إلى اليهود والنصارى، لانهم المقرون بذلك دون قريش ومشركي العرب، ويجوز أن يكون متناولا للمشركين أيضا، ويكون على وجه الاحتجاج عليهم، والتنبيه لهم على ما ظهر من معجزات موسى وظهور نبوته، وهذا الذي اخترناه قول